سورة الكافرون

دراسة تحليلية

بقلم
د. محمد صلاح أحمد شداد
أستاذ التفسير المساعد بقسم التفسير
كلية أصول الدين – جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وارض اللهم عن أصحابه والتابعين لهم بإحسان ومن سار على دربهم إلى يوم الدين ٠آمين

وبعدُ: فكتاب الله تعالى هو النور والهدى، أنزله الله ليبين الحق ويوضحه، ويبطل الباطل ويزهقه، ومن بين ما بين ووضح علاقة المسلمين بغيرهم من أصحاب الملل المختلفة، فهي علاقة توضيح وشرح للإسلام ثم محاورة ومجادلة ثم طلب لتوفير الوقت والجهد -بعد بذل الطاقة والوسع- لمن لا ترجى منهم الاستجابة، وسورة الكافرون تمثل تلك المرحلة الأخيرة -توفير الجهد بعد بذل الوسع- وهذه المرحلة لا تلغي غيرها من مراحل الشرح والبيان والمحاورة والجدال بالتي هي أحسن٠

وقد أردت أن أكتب شيئا من تفسير هذه السورة العظيمة وذلك للأسباب الآتية:

١. لما ورد في فضلها، ونحن نعلم أن زيادة الثواب في القراءة إنما هي من أجل المعاني الموجودة في السورة، فأردت أن أتشرف بالوقوف على بعض معاني السورة الكريمة٠
٢. كثرة الحديث عن نسخ آيات وسور -ومن بينها سورة الكافرون- بسبب نزول آية السيف ، ويقيني أن كل هذه الآيات والسور التي تحمل منهج المعاملة مع الغير لا يمكن أن تهدر وتلغى ويكون طريق المعاملة مع المخالف هو السيف فقط ٠

٣. ما وجدته من لمحات بلاغية وإشارات بيانية في السورة الكريمة تؤكد إعجاز القرءان الكريم فأردت تجلية بعضها ، ومن ثم تظهر أهمية علوم البلاغة في تفسير الكتاب العزيز .

وخطتي في البحث كالتالي:

- مقدمة لبيان الخطة وسبب اختيار السورة الكريمة.
- تمهيد أبين فيه مناسبة السورة لما قبلها، وسبب النزول ، واسم السورة، وزمن النزول، وعدد آياتها وغرض السورة ومقصدها.
- تقسيم السورة إلى مقاطع أبدأ تفسير المقطع من السورة بمعاني المفردات لغويا ثم بيان معنى المفردة في الآية الكريمة .
- ثم فقه الآيات وفيه أعالج القضايا التي تناولها المقطع المراد تفسيره وأذكر أقوال العلماء وأرجح ما أراه راجحا
- ثم أذكر ما يؤخذ من الآية أو الآيات موضع التفسير
- عزو الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية
- نسبة الأحاديث والآثار إلى مصادرها
- نسبة النقول إلى أصحاب الكتب الأصلية فبركة العلم في نسبته إلى صاحبه.
- ثم ختمت البحث بأهم النتائج ، وذكر المصادر وفهرس عام

وبعد:

فإن أصبت فيما قصدت فمن الله تعالى وحده وله الفضل والحمد في كل الأحوال، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان ، وأسأل الله التوبة النصوح والعمل بكتابه والسير على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم آمين.

كتبه

محمد صلاح أحمد شداد

تمهيد

يحسن بي قبل البدء في السورة أن أقدم لها بما جرت به عادة علماء التفسير من التقدمة بين يدي السورة بما يكشف عن المناسبة وسبب النزول واسمها وزمن نزولها وعدد آياتها وغرض السورة ومقصدها وغير ذلك من مقدمات .

فأقول وبالله التوفيق :

١- مناسبة السورة الكريمة لما قبلها :

سورة الكوثر تسبق سورتنا، وقد أمر سبحانه فيها رسوله صلى الله عليه وسلم بعبادته والشكر له على نعمه الكثيرة بإخلاص العبادة له ، وفي سورة الكافرون التصريح بما أشير إليه فيما سلف [١]

وفيما يلي عند سر تسمية سورتنا مع ما قبلها وما بعدها تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى

٢- سبب النزول :

أخرج الطبراني عن عكرمة عن بن عباس رضي الله عنه : أن قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يضعون مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجونه ما أراد من النساء ويطأون عقبه فقالوا هذا لك عندنا يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بشر فإن بغضت فإنا نفرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وما هي قال تعبد إلهنا سنة اللات والعزى ونعبد إلهك سنة قال حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي من عند الله عز و جل من اللوح المحفوظ (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون..) السورة وأنزل الله تعالى:(قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون بل الله فأعبد وكن من الشاكرين[٢].

---

(١) تفسير المراغي ج٣ص٢٥٤

(٢) المعجم الصغير للطبراني باب القاف من اسمه قاسم والرواية فيها ضعف

٣- زمن النزول :

عامة المفسرين على أنها مكية أي أنها نزلت قبل الهجرة المباركة .

قال القرطبي: وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك [١]

قلت : والراجح أنها مكية لمخاطبتها المجتمع الكافر ومكانه مكة قبل الهجرة لأن الدولة فيها كانت للكفر والكافرين ولسبب النزول – السابق – ومعلوم أن كون السورة أو الآية مكية أن نزولها كان قبل الهجرة أما خطابها ومعناها فهو للمكيين وللمدنين بل لكل العالمين ممن ينطبق عليهم سبب النزول أو ألفاظ السورة العامة ومعانيها وذلك ضرورة عالمية الرسالة .

٤- اسم السورة:

الاسم المشتهرة به السورة الكريمة (الكافرون) وقد قال صاحب التحرير في ذكر أسمائها:

عنونت هذه السورة في المصاحف التي بأيدينا قديمها وحديثها وفي معظم التفاسير (سورة الكافرون) بإضافة (سورة) إلى (الكافرون) وثبوت واو الرفع في (الكافرون) على حكاية لفظ القرآن الواقع في أولها ، ووقع في الكشاف وتفسير ابن عطية وحرز الأماني (سورة الكافرين) بياء الخفض في لفظ (الكافرين) بإضافة (سورة) إليه أي المراد سورة ذكر الكافرين أو نداء الكافرين وعنونها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه سورة (قل يا أيها الكافرون)

قال في الكشاف والإتقان : وتسمى هي وسورة قل هو الله أحد بالمقشقشتين: لأنهما تقشقشان من الشرك أي تبرئان منه يقال : قشقش إذا أزال المرض

(١) القرطبي في تفسيره لسورة الكافرون

وتسمى أيضا سورة الإخلاص فيكون هذان الاسمان مشتركين بينها وبين سورة قل هو الله أحد

وقد ذكر في سورة براءة أن سورة براءة تسمى المقشقشة لأنها تقشقش أي تبرئ من النفاق فيكون هذا مشتركا بين السور الثلاث فيحتاج إلى التمييز[١]

تأملات في اسم السورة

عند النظر في اسم السورة الكريمة وجدت أن القرآن الكريم سمى لنا ثلاث سور على أصناف الناس عند تلقيهم القرآن فمنهم المؤمن المصدق به ومنهم الكافر الذي صد عنه وأعلن مخالفته ومنهم المنافق الذي لم يستطع الإيمان الحق ولم يجرؤ على الإعلان بالخصومة ولكل قسم من هذه الأقسام سورة سميت به ،

سورتان مكيتان هما(قد أفلح المؤمنون)(وقل يأيها الكافرون) لأن المؤمنين والكافرين الصنفان الموجودان قبل الهجرة وثالثتهم مدنية وهي سورة المنافقون لأن النفاق لم يظهر إلا بالمدينة بعد الهجرة وقد صار للإسلام دولة وجيش وإذن بالقتال والجهاد .

والعجب أن الأصناف الثلاثة ذكروا في أول سورة البقرة وصنفتهم السورة حسب تلقيهم للهدي والحق ذكرت المؤمنين بوصف المتقين

فهم مؤمنون بالله تعالى مصدقون برسالته ويتقون ويخافون غضبه وعقابه فقال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا

(١) لتحرير والتنوير سورة الكافرون

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

ولأنهم مفلحون حققهم بهذا الوصف بشروطه في السورة التي أفردها لهم (المؤمنون) فقال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)

أما الصنف الثاني فلا أمل في دعوتهم وإنما إبلاغهم لإقامة الحجة عليهم وهم كما وصفهم ربنا في سورة البقرة:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)

ولذلك ناسبتهم سورتهم المخصوصة وجعلتهم يائسين من مهادنة الحق لباطلهم (لكم دينكم ولى دين)

وأما الصنف الثالث فهم المنافقون وهؤلاء أخس من الكافرين فهم مفسدون في الأرض مستهزءون بالحق وأهله جالبون للهزيمة لا ينتصر بهم جيش ولا يرفع بهم لواء هم العدو الذي يجب الحذر منه

والمقصودون بالقرآن هم المؤمنون وذكر أعدائهم انما هو لتوضيح الصورة لهم ولذلك طالت سورة المؤمنون

وللترتيب المصحفي دلالته:

نعلم أن الترتيب المصحفي غير ترتيب النزول فالنزول كان بحسب الوقائع والأحداث الداعية للتعليق أو بيان الحكم الشرعي أو الهداية والإرشاد وأما الترتيب المصحفي فجاء لحكمة أخري اعتنى بها علماء المناسبات وعند النظر – سريعا- في سوابق ولواحق السور الثلاث فسنجد الترتيب يخبرنا بمعان عظيمة منها:

١- أخبرنا ترتيب سورة المؤمنون المصحفي أن المؤمنين لن ينالوا النور ويكونوا ربانيين يرون بنور الله إلا إذا ساروا على خطي نبيهم محمد وأبيهم إبراهيم وأقاموا شعائر الله تعالى التي توحدهم وتجمعهم ولذلك جاءت سورتنا الكريمة بعد سورة الحج الذي هو تعظيم لله وشرعه وتقوى للقلوب وتجميع للأمة ولن يكونوا مؤمنين الا بذالك فإذا فعلوا ذلك كانت عاقبتهم تنوير بصائرهم وإعطائهم ما يفرقون به بين الحق والباطل لأنه نور رب العالمين ولعل هذا هو سر أن جاءت سورة النور بعد سورة المؤمنون، فصلاح أمر المؤمنين في تجمعهم على شعائر ربهم وتعظيمهم حرمات ربهم وعاقبة أمرهم – إن فعلوا ذلك – نور ينير طريقهم في دنياهم ويسعى بين أيديهم وأيمانهم على الصراط ويرون به ربهم النور سبحانه في الجنة

٢- وأما المنافقون فلا يغيظهم شئ كغيظهم من اجتماع أمر المؤمنين فسبقت سورتهم سورة الجمعة ويوم القيامة يرون الغيظ الأكبر والجزاء المناسب لهم فتلت سورتهم سورة التغابن وهو يوم تتكشف فيه السرائر

٣- وأما الكافرون فيغيظهم امتداد الرسالة وانتصارها فعيروا رسول الله بأنه غير ممتد الذكر لعدم الولد الذكر من نسله فناسب أن تأتي سورتهم بعد

سورة الكوثر وأما السورة التى بعد سورة الكافرون فهي سورة النصر تأكيدا على أن نصر الله للمؤمنين على الكافرين شئ واقع لا محالة بفضل الله وكرمه ومنته.

ولهذه المعاني تفصيلات وإنما أردت أن أعطي إشارات ولا أطيل في هذا المقام فلعل – إن شاء الله – أن يكون لذلك بحث مستقل

ما ورد في فضلها:

وقد ورد في فضل سورتنا الكريمة أحاديث كثيرة لها دلالات كبيرة.

*** منها ما ورد بتخصيصها بالقراءة في صلوات معينة ومن ذلك:**

ما ورد في مسلم (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بها وبسورة قل هو الله أحد في ركعتي الطواف وفي ركعتي الفجر[١]

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة –أو: بضع عشرة مرة– " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ " و " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "[٢]

*** ومنها ما ورد أنها تعدل في ثواب قراءتها قدرا معينا من مجموع القرآن :**

روي الترمذي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن)[٣]

(١) مسلم باب استحباب ركعتي سنة الفجر وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما

(٢) مسند الإمام أحمد مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب ٢٤/٢

(٣) قال الشيخ الألباني : صحيح دون فضل زلزلت و قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة

*** ومنها ما ورد في قراءتها قبل النوم :**

روي أحمد عن فروةَ ابن نَوفل –هو ابن معاوية–عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "هل لك في ربيبة لنا تكفلها؟ " قال: أراها زينب. قال: ثم جاء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عنها، قال: "ما فعلت الجارية؟ " قال: تركتها عند أمها. قال: "فمجيء ما جاء بك؟ " قال: جئت لتعلمني شيئًا أقوله عند منامي. قال: "اقرأ: " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ " ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك"[١].

وروي الطبراني عن جبلة بن حارثة –وهو أخو زيد بن حارثة–أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أويت إلى فراشك فاقرأ: " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ " حتى تمر بآخرها، فإنها براءة من الشرك"[٢]

*** أوصاف لها تدل على فضلها :**

وصفت السورة بأنها: المقشقشة لأنها تقشقش من الشرك أي تبرئ منه يقال : قشقش إذ أزال المرض وفي بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي تسمى (سورة الدين) [٣]

وهذه الأسماء تدل على عظم المعاني التي تحملها السورة الكريمة ففيها بيان أمر الدين وأصله من توحيد الله تعالى والتبرئ مم سواه تعالى والمفاصلة الكاملة بين الإسلام وغيره من المعتقدات ولذلك سميت بالدين وتسمى بالعبادة لأن عبادة الله تعالى هي العبادة وما سواه لا يستحق أى عبادة كما أنها تقشقش النفس

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في أطراف المسند (٤٢٥/٥) والمستدرك باب ذكر فضائل سور وآى متفرقة (٧٥٤/١)

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٢٧٥/٢ حديث رقم١٩٦٨

(٣) التحرير والتنوير سورة الكافرون

من كل مظاهر الشرك والاسم الأشهر لها الكافرون لأنها ترسم وتحدد العلاقة العقدية معهم

عدد آياتها وكلماتها وحروفها وفاصلتها:

آياتها ستّ بالإجماع. وكلماتها ثمانٍ وعشرون. وحروفها أربع وتسعون , وفواصل آياتها على النّون. [١]

غرض السورة الكريمة ومقصدها:

من سبب النزول نعلم أن الغرض الأكبر للسورة المفاصلة والتيئيس للمشركين من التهاون أو التقارب في أمر التوحيد والمناداة عليهم بهذا الوصف (الكفر) وتكرار نفي العبادة منه صلى الله عليه وسلم لأصنامهم وكذالك نفي العبادة منهم لله مع تمسكهم بأوثانهم كل ذلك يؤكد هذه المفاصلة وتلك المباعدة بين النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء القوم وفي ذلك درس عظيم ومبدأ أصيل في الحوار بين الأديان في أيامنا هذه وشعار لابد أن نرفعه أن الحوار والتقارب ومسائل الاتفاق بين الأديان بعيدة كل البعد عن مسائل العقيدة أصولها وفروعها وإنما الحوار يكون في كيف نتفق على القضايا العامة ومبادئ الخير للمجتمعات الإنسانية من سيادة الحق والعدل والخير ومحاربة الرذائل وسيادة المادة وسيطرة مطالب البدن على مطالب الروح .

أما التقارب في العقيدة فلا ، لأنه إما عنوان غير صحيح[٢] بصريح سورتنا العظيمة وإما مضمون يميع الدين ولا يقر بثوابت للإسلام ولا تمايز بين الحق والباطل[٣]

---

(١) بصائر ذوي التمييز بصيرة في قل يا أيها الكافرون

(٢) أعني أن نقول (تقارب الأديان) ونقصد التقارب في كل شئ حتى العقائد

(٣) لأن القصد إلى التقارب في العقيدة يؤدي إلى تساوي الجميع وهذا غير صحيح

وأما المجادلة بالتي هي أحسن وإثبات الحق بالدليل والرد على الباطل بالبرهان فهذا مطلوب شرعا لإقامة الحجة على الغير وبيان وجه الصواب وكل ذلك لا يقال له تقارب ولكنه تمايز . نسأل الله الكريم أن يبصرنا بالحق والصواب ويرزقنا إتباعهما والعمل بهما ولهما.

* * *

تفسير السورة الكريمة

قوله تعالى: (قل يا أيها الكافرون [١])

المفردات:

قل: فعل أمر للنبي صلى الله عليه وسلم وذكر الفعل (قل) يدلنا على أن الرسول ليس له في القرآن إلا البلاغ فقط ولا يتصرف في أي لفظ من ألفاظه وعدم ذكر النبي باسمه أو بوصفه دليل على علميته والاستغناء عن ذكره بشهرته بالقرآن والتصاقه به .

الكفر في اللغة:

الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنىً واحد، وهو السَّتْر والتَّغطية. يقال لمن غطّى دِرعَه بثوبٍ: قد كَفَر دِرعَه. والمُكَفِّر الرّجل المتغطِّي بسلاحه[١]

فالكفر في اللغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزارع لستره البذر في الأرض، وليس ذلك باسم لهما، وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها، قال تعالى: {فلا كفران لسعيه} [الأنبياء/٩٤].

وأعظم الكفر: جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعا قال: {فأبى الظالمون إلا كفورا} [الإسراء/٩٩]، {فأبى أكثر الناس إلا كفورا} [الفرقان/٥٠] ويقال منهما: كفر فهو كافر. قال في الكفران: {ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم} [النمل/٤٠]، وقال: {واشكروا لي ولا تكفرون} [البقرة/ ١٥٢]، وقوله: {وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين}

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة كفر

[الشعراء/١٩] أي: تحريت: كفران نعمتي، وقال: {لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد} [إبراهيم/٧] ولما كان الكفران يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود، قال: {ولا تكونوا أول كافر به} [البقرة/٤١] أي: جاحد له وساتر، والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية، أو النبوة أو الشريعة، أو ثلاثتها، وقد يقال: كفر لمن أخل بالشريعة، وترك ما لزمه من شكر الله عليه. قال: {من كفر فعليه كفره} [الروم/٤٤] يدل على ذلك مقابلته بقوله: {ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون} [الروم/٤٤] [١]

وأما تعريف الكفر اصطلاحاً ، فيقول ابن تيمية في ذلك : - « الكفر : عدم الإيمان ، باتفاق المسلمين ، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به ، أولم يعتقد شيئاً ولم يتكلم»[٢]

ويقول أيضاً : - « إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم »[٣]

ويعرف ابن حزم الكفر بهذه العبارة : وهو [أي الكفر في الدين] : صفة لمن جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه بقلبه دون لسانه ، أو بلسانه دون قلبه ، أو بهما معاً ، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان .

ويقول السبكي: « التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية، أو الوحدانية، أو الرسالة ، أو قولٌ أو فعلٌ حكم الشارع بأنه كفر ، وإن لم يكن جحدا»[٤]

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني كتاب الكاف

(٢) مجموع الفتاوى ٨٦/٢٠

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٢٤٢/١

(٤) فتاوى ابن السبكي ٥٨٦/٢

فالكفرُ اعتقادات ، وأقوال ، وأعمال ، حكم الشارع بأنها تناقض الإيمان

والكفر حكم شرعي ، والكافر من كفره الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- فليس الكفر حقا لأحد من الناس ، بل هو حق الله تعالى .

يقول ابن تيمية : - « ولهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ،وإن كان ذلك المخالف يكفرنا ؛ لأن الكفر حكم شرعي ، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك ، وزنى بأهلك ، ليس لك أن تكذب عليه ، ولا تزنى بأهله ؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى . وكذلك التكفير حق الله فلا يُكفر إلا من كفّره الله ورسوله »[١]

فقه الآية:

القضية الأولى : شمول الآية الكريمة زمانا:

أراد المشركون أن يوجدوا أرضا مشتركة في العقيدة بين أصنامهم وبين هذا الإسلام العظيم وظنوه دينا يقبل الشركة أو الحلول الوسط ولم يعلموا أنهم يريدون للسماء أن تنزل للأرض أو لنجم الثريا أن يتلاقى مع ثرى الأرض إنهم يريدون أن يتساوى الخالق مع المخلوق (سبحانك هذا بهتان عظيم)

ولذلك ناسب أن ينادوا بأداة النداء الدالة على البعد (يا) إشارة إلى بعدهم عن الصواب في اعتقادهم وتفكيرهم وطرحهم للحلول ثم ناداهم بصفة تدل على عدم التلاقي ناداهم بوصف الكفر ونحن نعلم أن المقصودين هنا الكافرون الأصليون وذلك للآيات بعدها ولسبب النزول والمراد كل كافر يريد إلغاء الدين وتعميم الفوضي في العقائد واعتبار أن كل ما يعتقده كل الناس دين صحيح ومن نزلت السورة من أجل مقولتهم يدخلون دخولا أوليا.

والمفسرون يقولون : المراد بالكافرين قوم مخصوصون علم الله موتهم

(١) مجلة البيان عدد ٢٣٨ص٣٠ مجلة إسلامية كويتية شهرية تصدر عن المنتدى الإسلامي

على الكفر[١]

والسبب لقولهم هذا أن الآيات حملت نفي عبادة هؤلاء لله حالا ومستقبلا.

وأقول : هذه السورة خطاب لكل كافر هذه صفته - (يدعو إلى إذابة الأديان وإلغاء الأصول واعتبار أن كل معتقد صحيح في نفسه وأن الاحترام لكل المعتقدات على خط سواء) - فالسورة خطاب له وقت فهمه ذلك أو قوله ذلك سواء اهتدى للصواب بعد ذلك وعرف الحق من الباطل أم لا . وهي تيئيس له أن يصل إلى صواب في هذا التفكير فليكف الناس عن الحلول الوسط في أمر العقائد .

وفهمي : أن قول علمائنا - عليهم الرحمة والرضوان- يجعل المعنى محصورا في سبب النزول ووقت النزول ، مع أني لا أرى مانعا أن تكون السورة خطابا لكل من يعتقد ذلك، ونفي العبادة لله حاضرا ومستقبلا للمخاطب الكافر ما ثبت على اعتقاده وفهمه أما إذا أسلم فقد زال عنه الوصف (الكفر) وزال عنه ما يترتب عليه فالسورة تتكلم عن الأوصاف لا الأشخاص ولعل هذا هو من أسرار عدم ذكر القرآن للأحداث والمواقف بأشخاصهم وأسمائهم ليبقى القرآن مخاطبا للعالمين زمانا ومكانا.

القضية الثانية: هل أهل الكتاب داخلون في النداء؟

الآية الكريمة نزلت بمكة بسبب عرض المشركين من الوثنين ولم يتلق النبي صلى الله عليه وسلم عرضا مماثلا من الكتابيين فهل يشملهم النداء ؟

أقول : نعم الخطاب يشملهم فهم في نظر الإسلام كفار لا تجوز أنصاف الحلول معهم وإن كانت عقائدهم في الأصل صحيحة ولكنها حرفت وتبدلت وهم بعد اعتقادهم التحريف كفار مخلدون في النار أصحاب عقائد باطلة بقولهم عزير ابن الله أو المسيح ابن الله أو ثالث ثلاثة .

(١) انظر مثلا أبو السعود في تفسيره للسورة

نعم للكتابيين أحكام خاصة ولكن هذه الأحكام تختص بالمعاملة ولا تمس العقيدة من قريب أو بعيد ويكفي أن نتذكر هذه الآيات ليساوى عندنا غير المؤمنين الذين لا يعرفون الله أصلا مع من يعرف الله على غير الوجه الصحيح قال تعالى في سورة التوبة :

قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)

ما يؤخذ من الآية:

١- { قل } أمر إلهي حاسم موحي بأن أمر هذه العقيدة أمر الله وحده . ليس لمحمد فيه شيء . إنما هو الله الآمر الذي لا مرد لأمره ، الحاكم لا راد لحكمه . [١]

ولهذه الآية نظائر في القرآن مفتتحة بالأمر بالقول في غير جواب عن سؤال منها قوله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)الجمعة:٦ والسور المفتتحة بالأمر بالقول خمس سور : (قل أوحي) وسورة الكافرون وسورة الإخلاص والمعوذتان فالثلاث الأول لقول يبلغه والمعوذتان

(١) ظلال القرآن ١١٧/٨ سورة الكافرون

لقول يقوله لتعويذ نفسه[١]

٢- ضرورة الوضوح في أمر العقائد .

٣- المفاصلة في أمر العقيدة ضرورية لتضح المسافات بين العقيدة الحقة وغيرها وذلك لا يمس البر والصلة مع كل مسالم للإسلام وأهله

٤- الوثنيون وأهل الكتاب سواء في وجوب المفاصلة ولا يتعارض ذلك مع اعتبار أهل الكتاب أقرب إلينا من غيرهم لأن أصل دينهم صحيح

قوله تعالى : **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥)**

اللغويات:

العبادة : معنى العبادةِ في اللغة الطاعةُ مع الخُضُوعِ ومنه طريقٌ مُعَبَّدٌ إذا كان مذللاً بكثرة الوطءِ [٢]

واصطلاحا: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة . وهي تتضمن غاية الذل والحب . إذ تتضمن غاية الذل لله تعالى مع المحبة له[٣]

(ما) في سورتنا الكريمة إما أن تكون موصولة بمعنى الذي وإما أن تكون مصدرية ، فتقديرها مصدرية لا إشكال فيه والمراد نفي أن تكون عبادته المبنية على الحق والبرهان يستطيعونها ونفي أن تكون عبادتهم الغير صحيحة والقائمة على التقليد الأعمى عبادة له صلى الله عليه وسلم

فإن قيل : كيف لا يعبد نبينا ﷺ عبادتهم وفي معبوديهم رب العالمين

(١) التحرير والتنوير ج٣ص٥٨٠وما بعدها

(٢) لسان العرب مادة عبد ٢٧٣/٣

(٣) كتاب العبادة لابن تيميه ص ١

سبحانه (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧) [١]؟

والجواب : أنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى مع الله تعالى والعبادة الغير صحيحة تتساوى مع عدم العبادة فمن لم يعبد الله الواحد وحده لا شريك له موحدا إياه خالعا ما سواه فليس بعابد لله تعالى ٠

وإنما الإشكال موجود في جعلها موصولة ووجه الإشكال (أن بعض أئمة اللغة يجعلون ما لغير العقلاء والأكثرون على أنها للعقلاء وغيرهم) [٢] فإطلاقها على الأصنام مستساغ وأما إطلاقها على العزيز الحكيم سبحانه يؤيد قول الأكثرين أنها تصلح للعقلاء وغيرهم بدليل قوله تعالى " وما خلق الذكر والأنثى " الليل ٣ وقوله تعالى: " والسماء وما بناها " الشمس ٥ وبقوله تعالى (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ {٩٨} الأنبياء ، فلو كانت ما لغير العاقل قولا واحدا لما ذكر الاستثناء (من دون الله) ولما ساغ للعرب – وهم البلغاء- أن يحتجوا بعيسى والملائكة وأقرهم القران على قولهم وأنزل قوله تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون)

أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت { إنكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون } فقال المشركون : الملائكة و عيسى و عزير يعبدون من دون الله فقال : لو كان هؤلاء الذين يعبدون آلهة ما وردوها قال فنزلت : { إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون } عيسى و عزيز والملائكة. هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه[٣]

يقول د فاضل: ويعتقد الكثيرون أن (ما) تستخدم لغير العاقل فيقولون

(١) سورة الزخرف

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك باب الموصول ص ٣١٦

(٣) مستدرك الحاكم تفسير سورة الأنبياء ٤١٦/٢

(ما) لغير العاقل و(من) للعاقل ولكن الحقيقة أن (ما) تستعمل لذات غير العاقل كما في قوله: (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) ولصفات العقلاء كما في قوله: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) (ونفس وما سواها) ويؤتى بها في التفخيم والتعظيم في صفات العقلاء، ولذلك قال تعالى (وما خلق الذكر والأنثى) ويعني به ذاته العلية. [١]

وآيتنا (ولا أنتم عابدون ما أعبد) من النوع الثالث أعني التعظيم في صفات الخالق سبحانه وهي العبادة في حقه جل شأنه

التكرار في الآيات

كرر سبحانه وتعالى النفي عن النبي ﷺ أن يعبد عبادة كعبادتهم أو أن يعبدوا هم عبادة مثل عبادته ﷺ والسؤال الآن عن علة هذا التكرار ؟

بعض العلماء يرى السبب فيه أن القوم كرروا مقالتهم وألحوا في بغيتهم فناسب التكرار معهم وبعضهم يرى فيه التأكيد وذلك من عادة العرب ٠

قال القرطبي: التكرار في " لا أعبد ما تعبدون "، لان القوم كرروا عليه مقالهم مرة بعد مرة. والله أعلم. [٢]

وقال الآلوسي: (يتراءى أن فيه تكراراً للتأكيد فالجملة الثالثة المنفية على ما في «البحر» توكيد للأولى على وجه أبلغ لإسمية المؤكدة والرابعة توكيد للثانية وهو الذي اختاره الطيبي وذهب إليه الفراء وقال إن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتهم تكرار الكلام للتأكيد والإفهام فيقول المجيب بلى بلى والممتنع لا لا وعليه قوله تعالى : { كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ } وفائدة التأكيد ههنا

(١) لمسات بيانية لفاضل صالح السامرائي باب لمسات بيانية في سورة الليل ١٩٣/١

(٢) تفسير القرطبي سورة الكافرون ٢٢٨/٢٠

قطع أطماع الكفار وتحقيق أنهم باقون على الكفر أبداً واعترض بأن تأكيد الجمل لا يكون مع العاطف إلا بـــ ثم وكأن القائل بذاك قاس الواو على ثم والظاهر أن مـن قال بالتأكيد جعل الجملة الرابعة معطوفة على الثالثة وجعل المجموع معطوفاً على مجموع الجملتين الأوليين فهناك مجموعان متعاطفان يؤكد ثانيهما أولهما ولمغـايرة الثاني للأول بما فيه من الاستمرار عطف عليه بالواو فلا يرد ما ذكر[1]

والجمهور أنه لا تكرار والمعنى على التأسيس والتخريج على التأسـيس كثير وكلها معاني صحيحة وتضيف إلى فهمونا الكثير .

وقد جمع الإمام الآلوسي أكثرها في تفسيره فقال:

(والذي عليه الجمهور أنه لا تكرار فيه لكنهم اختلفوا فقال الزمخشري لا أعبد أريد به نفي العبادة فيما يستقبل لأن (لا) لا تدخل إلا على مضارع في معنـى الاستقبال كما أن (ما) لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا أفعـل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب مـنكم من عبادة إلهي وما كنت عابداً قط فيما سلف ما عبدتم فيه وما عبدتم في وقت مـا أنا على عبادته والظاهر أنه اعتبر في الجملة الأخيرة استمرار النفي وأنـه حمـل المضارع فيها على إفادة الاستمرار والتصوير وفي الثانية استغرق النفي للأزمنـة الماضية وقال الطيبي أنه جعل القرينتين للأوليين للاستقبال والآخـريين للماضـي واعترض عليه بأن الحصرين اللذين ذكرهما في لا وما غيـر صـحيح وإن كانـا يشعر بهما ظاهر كلام سيبويه وقال الخفاجي ما ذكر أغلبي أو مقيد بعـدم القرينـة القائمة على ما يخالفه أو هو كلي ولا حجر في التجوز والحمل على غيره لمقـتض كدفع التكرار هنا وإن قيل بتحقق الاستغراب على القول باشتراطه في الحكاية فـي عابد الأول وعدم ضرر فقده في الثاني لأن النصب به للمشاكلة وقيـل القرينتـان

(١) الآلوسي سورة الكافرون

الأوليان للاستقبال كما مر والأخريان للحال واختاره أبو حيان أي ولست في الحال بعابد معبوديكم ولا أنتم في الحال بعابدي معبودي وقيل بالعكس وعليه كلام الزجاج ومحيي السنة وقيل الأوليان للماضي والأخريان للمستقبل نقله ابن كثير عن حكايـة البخاري وغيره ونقل أيضاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية أن المراد بقوله سبحانه : { لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } نفي الفعل لأنها جملة فعلية وبقوله تعالى : { وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّـا عَبَدتُّمْ } نفى قبوله صلى الله عليه وسلم لذلك بالكلية لأن النفي بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفى الفعل وكونه عليه الصلاة والسلام قابلاً لذلك ومعناه نفي الوقـوع ونفـي إمكانه الشرعي ونوقش في إفادة الجملة الاسمية نفي القبول ولا يبعـد أن يقـال إن معنى الجملة الفعلية نفي الفعل في زمان معين والجملة الاسمية معناها نفي الدخول تحت هذا المفهوم مطلقاً من غير تعرض للزمان كأنه قيل أنا ممن لا يصدق عليـه هذا المفهوم أصلاً وأنتم ممن لا يصدق عليه ذلك المفهوم فتدبر وقيل الأوليان لنفي الاعتبار الذي ذكره الكافرون والأخريان للنفي على العموم أي لا أعبد ما تعبـدون رجاء أن تعبدوا الله تعالى ولا أنتم عابدون رجاء أن أعبد صنمكم ثم قيـل ولا أنـا عابد صنمكن لغرض من الأغراض بوجه من الوجوه وكذا أنتم لا تعبدون الله تعالى لغرض من الأغراض وإيثار ما في ما أعبد قيل على جميع الأقوال السابقة على من لأن المراد الصفة كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقـادر قـدر عظمته وجوز أن يقال لما أطلقت ما على الأصنام أولاً أطلقت على المعبود بحـق للمشاكلة ومن يقول أن ما يجوز أن تقع على من يعلم ونسب إلى سيبويه لا يحتـاج إلى ما ذكر وقال أبو مسلم ما في الأوليين بمعنى الذي مفعول به والمقصود المعبود أي لا أعبد الأصنام ولا تعبدون الله تعالى وفي الآخريين مصدرية أي ولا أنا عابد مثل عبادتكم المبنية على الشك وإن شئت قلت على الشرك المخرج لها عن كونهـا عبادة حقيقة ولا أنتم عابدون مثل عبادتي المبنية على اليقين وإن شئت قلت علـى

التوحيد والإخلاص وعليه لا يكون تكرار أيضاً وقال بعض الأجلة في هذا المقام أن قوله تعالى : { لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }وقوله سبحانه : {وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ } أما كلاهما نفي الحال أو كلاهما نفي الاستقبال أو أحدهما للحال والآخر للاستقبال) [١]

عبادة النبي ﷺ وعبادة غيره

معلوم أن الكافرين كانوا يدعون عبادة الله عز وجل ، ويعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى، وهذه العبادة غير صحيحة ولا تنجي صاحبها أمام الله سبحانه يوم القيامة فمن قدس وعظم غير الله تعالى لم يعرف الله ولم يعبده وقد وصفه الله سبحانه بالكافر . فطلب المشركين مردود لأنهم بعبادتهم الآلهة الأخرى – سواء مع الله أو بالإفراد مع التناوب عام وعام– لم يعبدوا الله أبدا ولو للحظة ولم يعرفوه ﷻ.

وأما نبينا ﷺ فوقت نزول هذه الآية نبي ورسول يوحى إليه ولا ينطق عن الهوى دينه الإسلام الذي بعث الله به كل المرسلين وخاتمهم هو محمدﷺ أكمل الله به الملة وأتم به النعمة .

ولبعض علماء التفسير سؤال عند تفسيرهم لهذه الآية وهو عن ماهية عبادة سيدنا محمد قبل بعثته وهذا السؤال مبني على النكتة البلاغية في قوله تعالى (ولا أنتم عابدون ما أعبد) ولبيان هذه النكتة يقول الزمخشري : فإن قلت : فهلا قيل : ما عبدت ، كما قيل : ما عبدتم؟ قلت : لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث ، وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت.[٢]

ولم يوافق الإمام الآلوسي على ذلك فتعقبه بقوله: وتعقب بأن فيه نظراً

(١) السابق بتصرف يسير

(٢) الكشاف سورة الكافرون

لما ثبت أنه عليه الصلاة والسلام كان يتحنث في غار حراء قبل البعثة ونص أبو الوفاء على ابن عقيل على أنه صلى الله عليه وسلم كان متديناً قيل بعثه بما يصح عنه أنه من شريعة إبراهيم عليه السلام وأما بعد البعث فقال ابن الجوزي في كتاب الوفاء فيه روايتان عن الإمام أحمد إحداهما أنه كان متعبداً بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي لا من جهتهم ولا نقلهم ولا كتبهم المبدلة واختارها أبو الحسن التميمي وهو قول أصحاب أبي حنيفة الثانية إن لم يكن متعبد إلا بما يوحى إليه من شريعته وهو قول المعتزلة والأشعرية ولأصحاب الشافعي وجهان كالروايتين والقائلون بأنه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله اختلفوا في التعيين فقيل وجهان كالروايتين والقائلون بأنه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله اختلفوا في التعيين فقيل كان متعبداً بشريعة إبراهيم السلام وعليه أصحاب الشافعي وقيل بشريعة موسى عليه السلام إلا ما نسخ في شرعنا وظاهر كلام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم كان متعبداً بكل ما صح أنه شريعة لنبي قبله ما لم يثبت نسخه لقوله تعالى : { أولئك الذين هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقتده } [الأنعام:٩٠] وقال ابن قتيبة لم تزل العرب على بقايا دين إسماعيل عليه السلام كالحج والختان وإيقاع الطلاق الثلاث والدية والغسل من الجنابة وتحريم المحرم بالقرابة والصهر وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الإيمان بالله تعالى والعمل بشرائعهم[١]

والذي أدين به لله عز وجل أن نبينا ﷺكان على الفطرة التي فطر الله الناس عليها فطرة سليمة مستقيمة تقبل من غيرها الخير والحق وترفض ما سواهما وهو ﷺ لم يتلق من صاحب دين سابق ولا غيره شيئا ، فكل تحنث أو خلق كريم فهو من فضل الله عليه بالفطرة السليمة والنفس السوية فهوﷺ صنعه الله لنفسه وعلى عينه وحفظه .

(١) الآلوسي سورة الكافرون

وللإمام ابن تيميه رحمه الله شرح لهذه النكتة فيقول: ولم يحتج أن يقول فيهم : [ولا أنتم عابدون ما عبدت] ، كما قال في نفسه : { وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ } وذلك : أن كل مؤمن مأمور بقراءة هذه السورة، ومنهم من كان معبوده غير الله . فلو قال : [ولا أنتم عابدون ما عبدت] ، لقالوا : بل نحن نعبد ما كنت تعبد لما كنت مشركًا، بخلاف ما إذا قال : [ولا أنتم عابدون ما أعبده في هذا الوقت] . ولم يقل : [ما أنا عابد له] إذ نفسه قد لا تكون عابدة له مطلقًا . وقد يجوز أن يعبد الواحد من الناس غير الله في المستقبل، فلا يكون من لم يعبد ما يعبده في المستقبل مذمومًا، بخلاف المؤمن الذي يخاطب بهذه السورة غيره، فإنه حين يقولها ما يعبد إلا الله . فهو يقول للكفار : [ولا أنتم عابدون ما أعبده الآن] . وذكر النفي عن الكفار في الجملتين لتقارب كل جملة جملة . فلما قال:{ لا أعبد ما تعبدون } فنفي الفعل، قال : { وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } . ثم لما زاد النفي بنفي جواز ذلك وبراءة النفس منه ــ ذكر ما يدل على كراهته له وقبحه، ونفي أن يعبد شيئًا مما عبدوه ولو في بعض الزمان ــ قال : { وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } ، بل أنتم بريؤون من عبادة ما أعبده . فليس لبراءتي، وكمال براءتي، وبُعْدِي من معبودكم، وكمال قربي إلى الله في عبادتي له وحده لا شريك له، يكون لكم نصيب من هذه العبادة . بل أنتم ــ أيضًا ــ في هذه الحال لا تعبدون ما أعبد ــ لا في الحال الأولى، ولا في الثانية .ولو اقتصر في تبريهم من عبادة الله على الجملة الأولي، لم يكن فيها تبرئة لهم في هذه الحال الثانية . فبرأهم من معبوده حين البراءة الأولي الخاصة، وحين البراءة الثانية العامة القاطعة .وهم لم يختلف حالهم في الحالين، بل هم فيهما لا يعبدون ما يعبد . فلم يكن في تغيير العبارة فائدة، وإنما غيرت العبارة في حقه وحق المؤمنين لتغيير المعنيين . والإنسان يقوي يقينه، وإخلاصه، وتوحيده، وبراءته من الشرك وأهله، وبغضه لما يعبدون ولعبادتهم، فرفع درجته في ذلك . وهو في ذلك يقول

للكفار : [لا تعبدون ما أعبد] في هذه الحال ــ سواء كانوا هم قد زاد كفرهم وبغضهم له أو لم يزد .فالمقصود بالسورة : أن المؤمن يتبرأ منهم، ويخبرهم أنهم برآء منه، وتبريه منهم إنشاء ينشئه، كما ينشئ المتكلم بالشهادتين . وهذا يزيد وينقص . ويقوي ويضعف .وأما هم، فهو يخبر ببراءتهم منه في هذه الحال، لا ينشئ شيئًا لم يكن فيهم . فخطاب المؤمن عن حالهم خبر عن حالهم، والخبر مطابق للمخبر عنه، فلم يتغير لفظ خبره عنهم، إذا كانوا في كل وقت من أوقات عبادته الله لا يعبدون ما يعبد . فهذا اللفظ الخبري مطابق لحالهم في جميع الأوقات ــ زادوا أو نقصوا ولا يجوز للمؤمن أن ينشئ زيادة في كفرهم، فإن ذلك محرم . بل هو مأمور بدعائهم إلى الإيمان . وليس له أن ينقصهم في خبره عما هم متصفون به . فلم يكن في الإخبار عن حالهم زيادة فيما هم عليه ولا نقص . فلم يغير لفظ الخبر في الحالين بلفظ واحد . وأما المؤمن نفسه فهو مأمور بأن ينشئ قوة الإخلاص لله وحده، وعبادته وحده، والبراءة من كل معبود ــ سواه ــ وعبادته، وبراءته منه ومن عابديه . (١)

* * *

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه في التفسير سورة الكافرون ٤/٤٨٠

فقه الآيات:

القضية الأولى: التكرار في القران:

التكرار في اللغة : " عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى[١]، أو " هو الرجوع على الشيء "[٢]

والتكرار قد يكون للفظ واحد مثل قوله تعالى :{كَلَّا إِذَا دُكَّتْ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[٣] وقد يكون لجملة كالواقع معنا في سورتنا الكريمة ومثل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) في سورة الرحمن و(ويل يومئذ للمكذبين) في المرسلات ، وقد يكون التكرار لقصة وذلك كثير مشهور في قصص الأنبياء عليهم السلام .

وهذا التكرار يراه بعض العلماء للتأكيد ويرى في التأكيد فوائد كثيرة لأنه من البلاغة ومن أساليب الفصاحة ومن هؤلاء الإمام الزركشي إذ يقول: وقد غلط من أنكر كون التوكيد من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له وليس كذلك بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذ أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء وإنما نزل القرآن بلسانهم وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة وكلها

(١) لسان العرب مادة كرر
(٢) التعريفات للجرجاني
(٣) سورة الفجر

داعية إلى الشهوات ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ[١]

وأقول : وإن كان التكرار للتأكيد من أساليب العرب وفصاحتهم وبلاغتهم وله درجته من اللغة إلا أن القول بالتأسيس أولى لفائدته المعنى الجديد .

قال في البحر:(التَّأْكِيدُ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ فَلَا يُحْمَلُ اللَّفْظُ عَلَيْهِ إلَّا عِنْدَ تَعَذُّرِ حَمْلِهِ عَلَى فَائِدَةٍ مُجَدِّدَةٍ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ : إذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَ حَمْلِهِ عَلَى التَّأْسِيسِ أَوْ التَّأْكِيدِ فَالتَّأْسِيسُ أَوْلَى ، لِأَنَّهُ أَكْثَرُ فَائِدَةً .) [٢]

أما التأسيس فهو:(اللفظُ المكرَّرُ لإفادة معنىً آخرَ لن يكنْ حاصلاً قَبْلَه، ويسمَّى التأسيسُ، ويقولون: التأكيد إعادَةً والتأسيسُ إفادةً، والإفادَة أولى، وإذا دارَ اللفظُ بينهما حَسُن الحَمْلُ على التَّأسيسِ كقوله تعالى:{لا أعبُد ما تَعْبُدون وَلاَ أنْتُمْ عابِدون ما أعبُد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنْتُمْ عابِدون ما أعبد}.فإنْ أُرِيدَ بهذا التكْرَار زِيادةُ التَّقْرِير فهو تَوْكِيد وإن أُرِيد بقولِه تعالى:{ولا أنا عابدٌ ما عبدتم} إلخ. أي في المُستقبل فهذا معنىً زائِد عن مُجرَّد التكرار وهذا هو التأسيس.) [٣]

القضية الثانية:

الأصل في العبادة القلب وهو السبب في النجاة يوم القيامة فلو سبق اللسان إلى كلمة كفر أو أكره إنسان عليها أو حتى سكر إنسان فقال كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فلا إشكال في إسلامه إلا في السكر يحد عليه أما الإيمان فلا ينزع عنه دليل ذلك ما رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون

(١) البرهان في علوم القران ٩/٣
(٢) البحر المحيط لمحمد بن عبد الله الزركشي٢٩٦/٢
(٣) معجم القواعد العربية للشيخ عبد الغني الدقر ط مكتبة مشكاة الاسلامية.

قال فأنزل الله تعالى { يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون } قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب وقال الشيخ الألباني : صحيح [١]

فهذا الصحابي ﷺ قال كلمة مكفرة ولكنه لم يحاسب عليها لأنه ما قصدها والخمر لم تكن محرمة بعد ولذلك لم يوثر إلا تحريم الخمر عند قرب الصلاة وهذا يدل على عفو الشارع عما كان غير مقصود قلبا واعتقادا .

قوله تعالى : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ).

تأكيد وتقرير لما تقدم من معني الآيات السابقة من المفاصلة والتأكيد على التباعد بين التصورين لما ينبغي أن يكون عليه الدين الحق .

والدين : (أصله الطاعة ودان الناس مالكهم أي أطاعوه.ويجوز أن يكون أصله العادة ثم قيل للطاعة دين لأنها تعتاد وتوطن النفس عليها.

الدين: هو الطريقة المخصوصة الثابتة من النبي صلى الله عليه وآله، يسمى من حيث الانقياد له دينا. [٢] فالدين هو الطاعة والانقياد فإن كان بالحق وللوحي فهو الإسلام الذي لا يقبل الله غيره من عباده (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [٣]

قال صاحب البصائر: (الدِّين يقال للطَّاعة والجزاء واستعير للشريعة. والدّين كالملة لكنه يقال اعتباراً بالطَّاعة والانقياد للشريعة. وقوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً} أي طاعة وقوله {لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ} حَثّ على إتباع دين النبي صلّى

(١) سنن الترمذي ك التفسير باب ومن سورة النساء

(٢) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٥١٠/١

(٣) آل عمران :١٩

الله عليه وسلَّم الذي هو أوسط الأديان وخيرها، كما قال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} وقوله تعالى {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} قيل يعنى في الطَّاعة، فإنَّ ذلك لا يكون في الحقيقة إلاَّ بالإخلاص، والإخلاصُ لا يتأتَّى فيه الإكراه. وقيل إنَّ ذلك مختصّ بأهل الكتاب الباذلين للجزية. وقوله تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ} يعنى الإسلام كقوله {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}. وقوله {فَلَوْلاَ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ} أى غير مَجْزِيين. وقال بعضهم: الدِّين: الجزاءُ، دِنتُه دَيْناً ودِيناً،

والدين ورد فى القرآن بمعنى التَّوحيد والشهادة {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ} {أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ} أى التوحيد وله نظائر، وبمعنى الحساب والمناقشة {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} {الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ} {وَمَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} أى الحساب وله نظائر أيضاً، وبمعنى حكم الشريعة {وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} أى فى حكمه، وبمعنى الإيالة والسّياسة {فِي دِينِ الْمَلِكِ} أى فى سياسته، وبمعنى الملَّة {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} أى الملَّة المستقيمة، وبمعنى الإسلام {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ}.[١]

وإن كانت الطاعة لغير الله تعالى فإنه يسمى دينا أيضا لغة ولكنه دين لا يقبله صاحب الأمر سبحانه لأنه باطل مردود ، فالدين لغة يطلق على كل طاعة وانقياد ، وأما شرعا فلا يطلق إلا على الإسلام الذي لا يقبل الله غيره من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ .

علاقة الآية بسوابقها:

هذه الآية تقرير لما سبق من معاني وفيه زيادة معنى وهو أن الآيات السابقة فيها نفي عبادة كل فريق لمعبود الآخر وهذه الآية زادت المعنى بأن بينت أنه ليست العبادة وحدها هي المحرمة على الفريقين بل وطء أرض عقيدة كل فريق

(١) بصائر ذوي التمييز بصيرة في الدون والدين ٧٧٥/١

للآخر أيضا محرمة .

قال ابن القيم: ما الفائدة في قوله لكم دينكم ولي دين وهل أفاد هذا معنى زائدا على ما تقدم فيقال في ذلك من الحكمة والله أعلم أن النفي الأول أفاد البراءة وأنه لا يتصور منه ولا ينبغي له أن يعبد معبوديهم وهم أيضا لا يكونون عابدين لمعبوده وأفاد آخر السورة إثبات ما تضمنه النفي من جهتهم من الشرك والكفر الذي هو حظهم وقسمهم ونصيبهم فجرى ذلك مجرى من اقتسم هو وغيره أرضا فقال له لا تدخل في حدي ولا أدخل في حدك لك أرضك ولي أرضي فتضمنت الآية أن هذه البراءة اقتضت أنا اقتسمنا خطتنا بيننا فأصابنا التوحيد والإيمان فهو نصيبنا وقسمنا الذي نختص به لا تشركونا فيه وأصابكم الشرك بالله والكفر به فهو نصيبكم وقسمكم الذي تختصمون به لا نشرككم به فتبارك من أحيا قلوب من شاء من عباده بفهم كلامه[١]

قراءات :

قرأ نافع وابن كثير وحفص عن عاصم ليَ دين بفتح الياء والباقون:لِي دين بكسر اللام وسكون الياء[٢]

وفي تقديم الخبر على المبتدأ معنى الحصر والقصر أي:لكم دون غيركم دينكم ولي وحدي دون غيري ديني. ولم يذكر ديني بياء المتكلم كما ذكر كاف المخاطب في دينكم مراعاة لفواصل السورة فهي على النون ، قال ابن كثير: ولم يقل: "ديني" لأن الآيات بالنون، فحذف الياء، كما قال: { فَهُوَ يَهْدِينِ } [الشعراء: ٧٨] و { يَشْفِينِ } [الشعراء:٨٠] [٣]

(١) التفسير القيم لابن القيم ٢٥٣/٢

(٢) التيسير في القراءات السبع باب ذكر التكبير و تيسير التفسير لإبراهيم القطان ٤٤٥/٣

(٣) ابن كثير ٨٠٥/٨

دلالة الآية الكريمة (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) :

يرى بعض المفسرين أن الآية تدل على عدم مفارقة أحد الفريقين ما هو عليه ولنأخذ نموذجا لهذا الرأي من تفسير الإمام الطبري إذ يقول رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره: لكم دينكم فلا تتركونه أبدا، لأنه قد ختم عليكم، وقضي أن لا تنفكوا عنه، وأنكم تموتون عليه، ولي دين الذي أنا عليه، لا أتركه أبدا، لأنه قد مضى في سابق علم الله أني لا أنتقل عنه إلى غيره.) [١]

ويرى بعض المفسرين أن فيها معنى التهديد يقول القرطبي : قوله تعالى: لكم دينكم ولي دين فيه معنى التهديد، وهو كقوله تعالى:" لنا أعمالنا ولكم أعمالكم[٢] أي إن رضيتم بدينكم، فقد رضينا بديننا[٣]

ويرى بعض المفسرين أن معني الآية المهادنة مع المشركين وكف الأيدي عنهم وعلى ذلك فالآية منسوخة بالأمر بالقتال وقد نقل ذلك بعض المفسرين مثل القرطبي وغيره فقال: وكان هذا قبل الأمر بالقتال، فنسخ بآية السيف. وقيل: السورة كلها منسوخة. [٤]

تعقيب ورأي:

أولا : القول بالنسخ قول بعيد جدا وغير مقبول وذلك للمقرر عند علماء علوم القرآن أنه لا يصار إلى القول بالنسخ إلا عند النقل الصحيح الصريح عمن شاهد الوحي أو عند وجود التعارض الحقيقي بين النصين ،ولم يأت نقل صحيح عمن شاهذ التنزيل ولا وجود أيضا لهذا التعارض لأن الآية الكريمة لا تقر

(١) الطبري في تفسيره لسورة الكافرون

(٢) القصص:٥٥

(٣) القرطبي في تفسيره للسورة ٢٢٩/٢٠

(٤) السابق ، والسرج المنير للخطيب الشربيني

المشركين على عقيدتهم ولا تنه عن القتال بل هي تكفل حرية الاعتقاد والأمر بالقتال متوجه لمن يبدأ بقتالنا أو من يمنع حرية عرض الإسلام على الناس وعلى ذلك فلا تعارض لأن الأمر بالقتال لا يعني أبدا إلغاء دين غيرنا أو قهرهم على ديننا ، والقتال لم يكن أبدا في الإسلام إكراها على عقيدة معينة بل حرية العقيدة مكفولة بهذه الآية (لكم دينكم ولي دين) وغيرها كثير من مثل قوله تعالى:{ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [١]

ثانيا : القول بالتهديد قد يكون له وجه مقبول ومحمل معقول ولكنه من طرف خفي ويؤخذ من لازم معنى الآية وذلك : أن السورة نزلت وقت هيمنة دولة الكفر بمكة فعرض السلطة وأصحاب القوة تداول العبادة مع القلة المستضعفة ثم رفض هذه القلة وتقرير أنهم ثابتون على عقيدتهم مصممون على توحيدهم لله تعالى ولا يهمهم استمرار مخالفيهم قد يفهم منه معنى التهديد .

ثالثا: وأما القول بأن معنى الآية الختم على قلوب المشركين فلا يؤمنون فقد سبق في تفسير الآية الأولى من السورة الكريمة ردي لهذا المعنى ولزيادة الأمر وضوحا أقول:

أستبعد أن يكون معنى الآية الإخبار بعدم إيمانهم وذلك لأنها خطاب على العموم فهي ليست كسورة المسد تناولت واحدا بعينه وكانت إعجازا في الإخبار بالغيب بموت أبي لهب على كفره ، أما خطاب هذه السورة فعام لا نستطيع القول بتحديد شخص بعينه بل لعله طلب الجميع من المشركين وقتها تحدث به صفوتهم ، والقول بعدم إيمان الجميع قول لا يصح .

والمعنى الذي أراه راجحا أن قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) تأصيل لفقه الاختلاف في الاعتقاد وعدم الوصول لإقناع المخالف فتبين له ثقتك بطريقك

(١) البقرة: ٢٥٦

وسلامة منهجك وتحيل القضية برمتها إلى مستقبل الأيام وما تسفر عنه المدافعة ومن مات قبل ذلك ففي ساحة العدل الإلهي والحكم الرباني في يوم الفصل يظهر الحق من الباطل كما في قوله تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ }[١] وقوله تعالى: وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ[٢]

قال ابن تيميه: وقوله : { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } ، خطاب لكل كافر — وإن أسلم فيما بعد . فدينه قبل الإسلام كان له ، والمؤمنون بريئون منه، وإن غفر الله له بالتوبة منه، كما قال لنبيه : { فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } [الشعراء : ٢١٦] ، فإنه بريء من معاصي أصحابه، وإن تابوا منها . وهذا كقوله : { وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } [يونس : ٤١] [٣]

سؤال وجواب:

قد يقال : (إن أول السورة اشتمل على التشديد ، وهو النداء بالكفر والتكرير، واشتمل آخرها على اللطف والتساهل ، وهو قوله:{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} فكيف وجه الجمع بين الأمرين؟

والجواب : كأنه يقول : إني قد بالغت في تحذيركم من هذا الأمر القبيح ، وما قصرت فيه ، فإن لم تقبلوا قولي ، فاتركوني سواء بسواء .) [٤]

(١) غافر:٧٧

(٢) سبأ :٢٤-٢٦

(٣) مجموع فتاوى ابن تيميه في التفسير ٤/٤٧٠

(٤) الرازي:١٧/٢٦٣

فلا بأس أن نحكم لهم بذلك. والله أعلم.

ما يؤخذ من الآية الكريمة:

١- تربية العزة للمسلم لأنه يحمل الحق الذي يحتاجه الناس ، فالمسلم حريص على هداية الناس ويتعب نفسه في سبيل ذلك للأجر الجزيل الذي ينتظره (فوا لله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) [1] ولكنه مع ذلك عزيز النفس لا يذل لأحد فهو بربه غني عن كل الناس ولو كان وحده .

٢- هذه العزة لا تمنعنا أبدا من خفض الجناح لمن نرجو له الهداية ودعوته بالتي هي أحسن.

٣- هذه الآية الكريمة تربي فينا التميز بعاداتنا وقيمنا الاسلامية.

* * *

(١) صحيح البخاري ك فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب

خاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبعد هذا الطواف مع سورتنا الكريمة نخلص إلى حقائق ثابتة وكثيرة منها:

١. أن القرآن الكريم يحتاج في فهمه إلى أدوات كثيرة ومتنوعة من العلوم والمعارف عربية وشرعية وتاريخية وغير ذلك.

٢. أمور العقائد تحتاج إلى صراحة ووضوح وذلك لأنها أساس الدين وبغيرها لا يعتبر الدين دينا.

٣. المفاصلة في أمور العقائد ليست خطة لمرحلة معينة ولكنها دائمة ومستمرة فآيات رد عبادة غير الله تعالى تكررت لتفيد ذلك في الحاضر والمستقبل .

٤. القرءان الكريم كله سواء من حيث المصدر فكله من عند الله تعالى وكذلك كله سواء في البلاغة والفصاحة والوفاء بالغرض ، أما موضوعات الآيات والسور فمختلفة فآيات العقائد وسورها تفضل آيات العبادات والحديث عن المعاملات من حيث، أن العقائد الأساس الذي تبنى عليه العبادات والمعاملات وعلى ذلك: جاءت الآثار في فضائل بعض السور والآيات.

٥. النداء بـ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) على العموم في كل كافر مع أن الطالبين لعبادة الأصنام بعض قريش فهذا النداء يدل على عموم هذا الحكم وأن هذا مبدأ عام وقانون أصيل وأن العبرة بعموم اللفظ.

٦. حملت السورة في أولها شدة في اللفظ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ

مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) ثم جاءت في آخرها ولانت في العبارة (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ(٦)) فكيف وجه الجمع بين الأمرين؟ الجواب : كأنه يقول : إني قد بالغت في تحذيركم على هذا الأمر القبيح ، وما قصرت فيه ، فإن لم تقبلوا قولي ، فاتركوني سواء بسواء . [1]

وبعد فأرجوا التوفيق والسداد لي ولجميع المسلمين.

* * *

(١) تفسير الرازي في تفسيره لسورة الكافرون

أهم المراجع

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب العلمية:

كتب التفسير

١- البحر المحيط المؤلف أبو حيان الأندلسي المحقق عادل أحمد - علي معوض ط دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٣ - ١٩٩٣ - ٨ أجزاء

٢- تفسير أبي السعود أو (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي الناشر : دار الكتب العلمية للنشر سنة النشر: ١٩٩٩

٣- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) الإمام ابن جرير الطبري الناشر مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٤- تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب - المؤلف: محمد الرازي فخر الدين - دار الفكر -بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٥- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) (ط دار طيبة ١٤٢٠/١٩٩٩

٦- التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية المؤلف : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م

٧- الجامع لأحكام القرءان للإمام القرطبي مؤسسة الرسالة - بيروت ، لبنان - الطبعة الأولى - طبعة عام ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م

٨- الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ط دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣

٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٠- السراج المنير لمحمد بن أحمد الشربيني ط دار الكتب العلمية ،

١١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزميدار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت سنة ١٤٠٧

كتب علوم القرآن

١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تأليف :مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي. تحقيق :محمد علي النجار &عبد العليم الطحاوي. دار النشر :المكتبة العلمية. بيروت

٢- البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله بدر الدين الزركشي ط دار الحديث سنة النشر١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦م

٣- المفردات في غريب القرآن المؤلف : الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم الناشر : دار العلم الدار الشامية مكان الطبع : دمشق ــ بيروت سنة الطبع : ١٤١٢ هـ

كتب الحديث

١- الجامع الصحيح سنن الترمذي المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي

٢- السنن الكبرى للنسائي :دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩١

٣- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف :مسلم بن الحجاج

القشيري النيسابوري المحقق :محمد بن فؤاد عبد الباقي الناشر :دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة : الأولى سنة الطبع ١٣٤٧هـ

٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف : أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني مؤسسة قرطبة – القاهرة

٥- المستدرك على الصحيحين المؤلف : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠

٦- المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني دار الحرمين – القاهرة ، ١٤١٥هـ

كتب اللغة

١- التعريفات:علي بن محمد بن علي الجرجاني دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٥هـ

٢- لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري دار صادر بيروت ط الأولى

٣- معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

٤- معجم مقاييس اللغة المؤلف : أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا المحقق : عبد السَّلام محمد هَارُون الناشر : اتحاد الكتاب العرب الطبعة : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.

كتب عامة

١- درء تعارض العقل والنقل المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : دار الكنوز الأدبية - الرياض ، ١٣٩١هـ

٢- مجلة البيان تتصدر عن المنتدى الإسلامي[رقم الجزء ، هو رقم العدد . ورقم الصفحة ، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في العدد.

* * *

الفهرس العام

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٢٧٥
سبب النزول وزمانه	٢٧٧
اسم السورة	٢٧٨
فضلها	٢٨٢
عدد آيات السورة	٢٨٤
غرض السورة	٢٨٤
تفسير الآية الأولى	٢٨٦
فقه الآية	٢٨٨
ما يؤخذ من الآية	٢٩٠
تفسير الآية الثانية والثالثة والرابعة والخامسة	٢٩١
فقه الآيات	٣٠٠
قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين)	٣٠٢
فقه الآية	٣٠٨
ما يؤخذ من الآية	٣١٠
خاتمة	٣١١
أهم المراجع	٣١٣
الفهرس العام	٣١٧

* * *